الرسالة

(تيطس ٣:٨–١٥)

يا ولدي تيطُسُ صادقةٌ هي الكلمةُ وإيَّاها أريدُ أن تقرِّرَ حتَّى يهتمَّ الذين آمنوا باللهِ في القيامِ بالأعمالِ الحسنةِ. فهذهِ هيَ الأعمالُ الحسنَةُ والنافِعةُ* أمَّا المباحثاتُ الهذيانيَّةُ والأنسابُ والخصوماتُ والمماحكاتُ الناموسيَّةُ فاجتَنِبْها. فإنَّها غيرُ نافعةٍ وباطِلةٌ* ورجُلُ البِدعَةِ بعدَ الإنذارِ مرَّةً وأُخرى أعرِضْ عنهُ* عالِمًا أنَّ مَن هو كذلك قدِ اعتَسفَ وهُوَ في الخطيئةِ يَقضي بنفسه على نفسه*) ومتى أرسلتُ إليكَ أرتِماسَ أو تِيخيكوسَ فبادِرْ أن تأتيَني إلى نيكوبولِس لأنِّي قد عزمتُ أن أُشتِّيَ هناك* أمَّا زيناسُ معلِّمُ الناموسِ وأَبُلُّوسُ فاجتَهِد في تشييعهما متأهبين لئَلاَّ يعوزهما شيءٌ* وليتعلَّم ذوونا أن يقوموا بالأعمالِ الصالحةِ للحاجاتِ الضروريَّةِ حتَّى لا يكونوا غيرَ مثمرين* يسلِّمُ عليكَ جميعُ الذينَ معي* سلِّم على الذين يُحبُّوننا في الإيمان. النعمةُ معكم أجمعين. آمين.

مثل الزارع

يَرد مثل الزارع الذي نقرأه هذا الأحد في الأناجيل الإزائية الثلاثة (متى، مرقس، لوقا)،وهو أول أمثال الرب يسوع وأكبرها. قبل الخوض في التفسير، قد يكون مفيدًا أن نتناول بإيجاز بعض حيثيات المَثَل وخلفياته.

على غرار معظم ما ورد على لسان السيد من أمثال، مَثَلُ اليوم مأخوذ من واقع الحياة آنذاك، المعروف لدى السامعين. فبحسب أسلوب الزراعة المعتمد في تلك الأيام، كان رش البذار يأتي قبل الفلاحة، وعلى كامل مساحة الأرض المَنوي زرعها، بما فيها من أشواك وحجارة وعدم إستواء. أسلوب الزراعة هذا هو الذي يفسر لنا كيف أن جزءًا من البذار المنثورة يضيع ولا يعطي ثمرًا.

+ «خرج الزارع ليزرع زرعه»: خروج الله إلينا، وهو صاحب الزرع والأرض معًا،اختصار لغاية الله فينا وعمل فدائه الحاصل بالكلمة الإبن الوحيد. فالله يشتهي أن يخرجنا من عبودية الخطيئة إلى حرية الأبناء. ولما كان خروجنا مستحيلاً،خرج هو إلينا من أعالي مجده ليكون لنا الخلاص ودوام الحياة معه وفيه. عن هذا الخروج الإلهي يقول الذهبي الفم «خرج ذاك الذي هو كائن في كل مكان، لكنه غير محدود بمكان؛جاءنا في ثوب جسدنا.يتحدث المسيح عن اقترابه إلينا كخروج لأننا قد أُلقينا خارج الله كمطرودين من حضرة الملك، لكن ذاك الذي يريد أن يصالحنا مع الملك يخرج إلينا ويحدثنا خارج المملكة،حتى متى تأهلنا للمصالحة دخل بنا إلى حضرة الله من جديد، وهذا ما فعله المسيح» صاحب الأرض والزرع معًا، يخرج إلى الأرض ليلقي فيها زرعًا هو منه وله: الأنبياء القدامى تكلّموا كمرسَلين من الله، أما الرب يسوع فيتكلم من صلب ذاته، وهو ابن الله الذي نسمعه قائلاً بسلطان «أما أنا فأقول لكم...».

العدد ٢٠٠١/٤١
الأحد ١٤ تشرين الأول
أحد آباء المجمع المسكوني السابع
الشهيد نازاريوس ورفقته
البار قزما أسقف مايومة
اللحن الثاني
إنجيل السَحَر الثامن

باختياره لهذا المثل يُرينا الرب يسوع كيف أن الزارع يلقي بذاره على الأرض كما هي، بما فيها من جدب وشوك وصخور. الزارع السماوي يلقي كلمته المحيية دون تمييز بين كبير وصغير، بين غني وفقير، بين مقدام ومتهاون أو بين عالم وجاهل. إلهنا يلقي كلمة الخلاص على الكل بتساوٍ وبلا تمييز، عارفًا ما ستلقاه الكلمة من رفض وعدم اهتمام ونكران، لكنه

يسعى لخلاص الكل وغاية مشتهاه أن يعود الكل إليه تائبين متألقين بثمار الفضيلة.

+ «**وفيما هو يزرع...**»: بعض البذار سقط على الطريق، بعضها سقط على الحجارة والبعض الآخر بين الأشواك. في سياق قراءتنا للمَثَل نرى أن ثلاثة أرباع البذار ضاعت ولم تثمر. في هذا الجزء من المثل يُنبئ الرب تلاميذه عمّا ستلقاه البشارة من عثرات ومعوقات واضطهاد، لا ليحبطهم بل ليشدد عزمهم لينطلقوا في عملهم الكرازي بثقة العارف، متمثلين بالسيّد الذي يسعى لخلاص الكل مهما كان الثمن. هنا أيضًا رسالة لكل سامع. فالإثمار لا يتوقف على نوعية البذار أو قدرة الزارع وحسب، بل على نوعية الأرض واقتبالها للبذار أيضًا وأساسًا.

+ «**وبعض سقط في الأرض الصالحة...**»: لم تذهب كل البذار هدرًا، بل إن بعضها القليل الذي سقط في الأرض الصالحة أعطى ثمارًا فاقت كل التوقعات. فمعدل المئة ضعف هو أفضل من المعدلات المألوفة آنذاك بكثير. لكي تأتي الكلمة الإلهية بثمارها المنشودة، يجب أن يقتبلها الإنسان في قلبه ويجتهد في فهمها وتذوّقها ومن ثم العمل بها واعتمادها ناموسًا دائمًا للحياة. «كلمتك مصباحٌ لقدميّ ونورٌ لسبيلي. أقسمتُ وسأنجزُ أن أحفظ أحكام برِّكَ» يقول صاحب المزامير (١١٨: ١٠٥- ١٠٦).

بَيد أن هناك بعض النفوس التي، بدلاً من أن تجاهد في الحياة الداخلية الجدية، تمسي كالطرقات الواسعة المباحة لكل عابر.. وللشيطان أيضًا. هذه النفوس لا ترفض الكلمة، ولكنها لا تعمل على تأملها وفهمها. حينئذٍ يأتي العدو القديم المتربص، كالطيور التي تتبع الزارع، فيخطف البذار بسهولة لأنها لم تصنع لها أصلاً في الجذور. إذا تأملنا بجدية في ذواتنا، نجد أن مرات كثيرة تأتي علينا كلمة الله ولا نرفضها، ولكن يأتي وقت لا نعود نجد لها في نفوسنا أثرًا. هذه النفوس شبّهها الرب بالطريق لأنها مفتوحة لكل فكر أو تأثير عابر، لا سياج عليها ولا رقيب،فيتلطى الشرير بالأفكار العالمية ليقلع من النفس بذار الصلاح الإلهي الملقاة فيها.فمن أراد أن يحفظ الزرع الإلهي، عليه أن يحمي نفسه بالسياج الفاصل بين الحقل والطريق، وأن يتيقظ من التأثيرات الآتية من العالم، فيحفظ قلبه حقلاً مستعدًا وأرضًا صالحة.

+ «**والذين على الصخر هم الذين يسمعون...**»: أحيانا تكون الأرض حَجِرَة قليلة التربة، وهذا أقرب إلى الواقع الزراعي في أرض فلسطين. هذه الأرض لا تصلح لزراعة الحنطة التي تغوص جذورها في عمق التربة بحثاً عن الرطوبة. في هذه الأرض إشارة إلى النفوس التي تفتقر إلى العمق، وكل شيء فيها سطحي. هذه النفوس تقبل الزرع الإلهي بيُسر وتنمو فيها البذار سريعًا. لكنها، لافتقادها إلى العمق الذي تنغرس فيه الجذور، لا تعرف سوى التأثر المؤقت، وتحيا مع الله سطحيًا فلا تنمو فيها الحياة الجديدة ولا تُثمر. هذه هي النفوس التي ما أن تطل عليها التجربة ييبس الزرع الإلهي فيها وينقلع. لو كان الزرع في هذه النفوس عميق الجذور، لكانت حرارة الشدائد تعمل فيه مفعول الشمس فتشتد النبتات وتعطي ثمرها الأجود. تحت التربة الشحيحة يكبر الحجر الصم، وعمق النفوس الشحيحة معبَّد بالـ«أنا»، والتهاون ليس إلاّ وجهًا آخرًا للـ«أنا».ينبغي إذًا تكسير هذا الـ «أنا»ليصبح للنفس عمقها،هذا العمق الآتي من سحق قساوة القلب بالجهاد الداخلي الجدي، بهذه الحياة المستترة مع المسيح في الله (كو٣:٣).

الإنجيل

(لوقا ٨:٥-١٥)

قال الربُّ هذا المَثَل. خرجَ الزارعُ ليزرعَ زرعَهُ* وفيما هو يزرعُ سقطَ بعضٌ على الطريقِ فوُطِئَ وأكلتهُ طيورُ السماءِ* والبعضُ سقطَ على الصخرِ فلمَّا نبت يَبِسَ لأنَّهُ لم تكنْ لهُ رُطوبةٌ* وبعضٌ سقطَ بين الشوك فنبتَ الشوكُ معهُ فخنقهُ* وبعضٌ سقطَ في الأرضِ الصالحةِ فلمَّا نبتَ أثمر مئَةَ ضِعف* فسألهُ تلاميذهُ ما عسى أنْ يكونَ هذا المثَل. فقال لكم قد أُعطِيَ أنْ تعرِفوا أسرارَ ملكوتِ الله. وأما الباقون فبأمثالٍ لكي لا ينظروا وهم ناظِرون ولا يفهموا وهم سامعون* وهذا هو المثَلُ. الزرعُ هو كلمةُ الله* والذين على الطريق هم الذين يسمعون ثمَّ يأتي إبليسُ ويَنْزِعُ الكلمةَ من قلوبهم لئَلاَّ يؤمنوا فيَخْلُصوا* والذين على الصخر هم الذين يسمعون الكلمةَ ويقبلونها بفرح ولكن ليس لهم أصلٌ وإنَّما يؤمِنون إلى حينٍ وفي وقتِ التجربةِ يرتدُّون* والذي سقط في الشوكِ هم الذين يسمعونَ ثمَّ يذهبون فيختنِقون بهمومِ هذه الحياةِ وغناها وملَذّاتها فلا يأتون بثمر* وأمَّا الذي سقطَ في الأرضِ الجيّدةِ فهم الذين يسمعونَ الكلمةَ

فيحفظونها في قلبٍ جيّدٍ صالحٍ ويُثمرون بالصبر* ولمَّا قال هذا نادى مَن لهُ أُذنانِ للسمعِ فليسمعْ.

تأمل

كثيرًا ما يسبب الهذيان الشر. وبالعكس، حفظ اللسان يجلب الخير الكثير. ما الفائدة من البيوت والمدن والأسوار والأبواب إن لم يكن لها حراس أمناء على الفتح والغلق. هكذا اللسان والفم لا فائدة منهما إذا لم يسيطر عليهما العقل ويرشدهما إلى الفتح والغلق بدقة واحتراس ليعلما ما يجب أن يقال وما يجب أن يُحفظ في الداخل.

فالحكيم يقول ان الذين سقطوا بعثرات اللسان أكثر من الذين سقطوا من السيوف (سيراخ ٢٨:١٨)، والمسيح يقول: ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان بل ما يخرج من الفم هذا ينجس الإنسان (متى ١٥: ١١)، والحكيم يقول أيضًا: واجعل لفمك بابًا ومزلاجًا (سيراخ ٢٨:٢٥). وأمام المغنين داود حين عرف ان هذا عمل صعب ضمه إلى الصلاة ونادى الله إلى معونته. والحكيم ابن سيراخ يعبر عن الشيء نفسه بالكلمات الآتية: من يجعل حارسًا لفمي وخاتمًا وثيقًا على شفتيّ (سيراخ٢٢:٢٧). ويلزمنا إتمام هذا الواجب أو الوصية: واجعل لفمك

+ «والذي سقط في الشوك هم الذين يسمعون...»: هؤلاء أيضًا سمعوا الكلمة ونمت فيهم،ولكن هموم الحياة وغناها وملذاتها علت على النبت اليافع فيهم وخنقته. لننتبه هنا إلى أن السيد له المجد لم يقل «هذه الحياة وغناها» لكن «هموم هذه الحياة وغناها». فالعيب ليس في العالم أو في الغنى بل باستسلامنا لهموم العالم والغنى وغرورهما. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: «ليتنا لا نلُم الأشياء في ذاتها وإنما نلوم الذهن الفاسد. فإنه يمكنك أن تكون غنيًا لكن بلا غرور، وأن تكون في العالم دون أن يخنقك باهتماماته». ليكن فينا يقين أنه لا يمكن أن تُثمر البذار الإلهية فينا إلا إذا نزعنا من عقولنا الهموم العالمية الباطلة المسمومة. فـ«العالم يمضي وشهوته، وأما الذي يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد» (١يو٢:١٧). ربنا يسوع المسيح شبَّه هموم العالم بالأشواك لأنها تمامًا كالأشواك عقيمة لا تثمر، تمزق النفس التي تحضنها، تفنى بالنار ولا يبقى منها شيء، وهي ملاذ للعقارب والحيّات، على ما قال الذهبي الفم.

+ «وأما الذي سقط في الأرض الجيدة...»: هذه الأرض الجيدة تكون في العادة نظيفة من الشوائب، منخفضة فتنساب المياه إليها وتكمن فيها. هكذا تكون النفس المتواضعة التي لا تتعالى على عمل الرب فيها، تقبل التجارب كمحراث تنقية وتحسين فتثمر بالصبر، وتتدفأ تربتها الداخلية بحرارة شمس العدل نفسه الذي هو المسيح، وتتقبل انسياب مياه الروح القدس العامل فيها. هذه هي النفس التي تثمر مئة ضعف، وهو معدل أفضل السنوات خصبًا، وهذه هي النفوس التي يقول عنها النبي «ويطوّبكم كل الأمم لأنكم تكونون أرض مسرةٍ،قال رب الجنود» (ملا٣:١٢).

عندما تسقط الكلمة الإلهية على نفس طاهرة من الأمور الضارة، تغرس جذورها عميقًا وتأتي بأوفر الحنطة ثمارًا، على ما قال القديس كيرلّس الإسكندري. المعمودية تأتي علينا من الروح القدس بطبيعة جديدة تؤهّلنا لنكون هذه الأرض الجيدة الصالحة. لكن بعضنا يؤثر في مسار الحياة الحجارة المجدبة على حجر الزاوية المسيح الرب، وأشواك العالم على الأشواك التي غُرست في هامة السيد لفدائنا.

التلاميذ سألوا الرب عن سبب كلامه بالأمثال فقال لهم «لكم قد أعطي أن تعرفوا أسرار ملكوت الله». هل يعني هذا أن الرب قد خصص بعضًا وحرم آخرين؟ حاشا. فمن أول المثل رأينا الزارع ينثر بذاره على مساحة الأرض كلها. لكن هؤلاء الذين «أعطي لهم» قد قبلوا المسيح وباتوا منفتحين عليه وعلى تعليمه. هؤلاء أخضعوا «أناهم» وشرّعوا قلوبهم فأمسوا أرضًا منخفضة تنساب إليها بسهولة مياه الرب وشمسه المحيية. ألا أنعم الله علينا بذاك القلب الخاشع المتواضع القابل لفداء المسيح وخلاصه، فنسمع صوت القارع على بابنا ونفتح له على الدوام، فلا ينطبق علينا القول النبوي الرهيب «إذهب وقل لهذا الشعب إسمعوا سمعًا ولا تفهموا، وأبصروا إبصارًا ولا تعرفوا» (أش ٦:٩).

في حضرة الله

«فأريدُ أنْ يُصلِّيَ الرجالُ في كلِّ مكانٍ رافعينَ أيادي طاهرةً بدونِ غضبٍ ولا جِدالٍ. وكذلك أنَّ النساءَ يُزَيِّنَّ ذواتهنَّ بلباسِ الحِشمةِ مع ورعٍ وتعقُّلٍ لا بضفائرَ أوَ ذَهَبٍ أو لآلِئَ أوَ ملابسَ كثيرةِ الثمنِ، بل كما يليقُ بنساءٍ متعاهِداتٍ بتقوى اللهِ بأعمالٍ صالحةٍ» (١تيمو ٢:٨-١٠).

هل يحق للمرأة أن تقول ان هذا اللباس يعجبني وأريد أن أرتديه في أي مكان أريد؟ هذا السؤال يصح أيضًا على بعض الرجال. نطرح هذا السؤال مجددًا اليوم بعدما زادت في الفترة الأخيرة، وخاصة في موسم الحر في الصيف، موضة ارتياد الكنيسة أيام الآحاد وفي الأعراس بثياب تكشف من الجسد أكثر مما تغطيه. وكأن فتياتنا ونساءنا في سباق بين بعضهن في من تكشف من جسدها أكثر، أو من تلبس السراويل والقمصان الأضيق. والأسوأ أننا نرى مثل أولئك في المآتم أيضًا.

لا نريد أن نحكم على أحد بالنيات ولا نرمي الإتهامات يمينًا وشمالاً. ما نرجوه هو أن تعي المرأة، ومعها الرجل، ان الكنيسة مكان مقدَّس، مكان صلاة وعبادة. هناك نقف أمام الله في حضرة قديسيه وملائكته والجماعة المؤمنة، ولا يجوز أن نقف أمام الملك السماوي دون احتشام ودون مراعاة لشعور الموجودين معنا في الكنيسة،الذين يقصدون بيت الله سعيًا وراء سلام داخلي. هؤلاء الراغبين في الصلاة هم إخوتنا ونحن مسؤولون عن بعضنا، فمن غير المسموح أن نكون عثرة لهم ولو عن غير قصد.

اللباس الضيِّق أو القصير أو المكشوف الذي يبرز مفاتن الجسم هو مصدر إغراء للآخر، وبالتأكيد هناك من يفكرنَ في إغراء الآخرين. قد تجيب إحداهن: «أنا لست هاوية إغراء ولا أفكر في الأمر. المشكلة هي في الآخر». صحيح، إنما «ويلٌ لذلك الإنسانِ الذي بهِ تأتي العَثْرَةُ» (متى ١٨:٧). عندما تلبس الفتاة هذا النوع من اللباس تدفع الشبيبة لأن يلتهموها بأعينهم وتدفعهم إلى الزنى بالفكر. مجتمعنا ليس مجتمع قديسين، خاصة في هذا الخضم الإعلامي الإعلاني الذي يركز على الشهوة والجنس وما يتعلَّق بهما.نحن لسنا ضد أن تبدو المرأة جميلة، ولكننا لا نريدها مثيرة توقع الآخرين في الخطيئة، كما لا نريدها أن تقع فريسة ما يُسمى الموضة التي يضعها أشخاص معظمهم رجال في عالم استهلاكي همه أن يستغل جسد المرأة ليحقق المزيد من الأرباح. هناك أزياء محتشمة ولائقة، جميلة وتبرز جمال المرأة وليس مفاتنها. الإحتشام تعبير من تعابير العفة، والبساطة والإحتشام يعبِّران عمّا في داخل المرأة.

ونسأل الرجال إذا كانوا يذهبون للقاء رئيس دولة أو حاكم بالـ«شورت» والقميص القطنية بدون أكمام. لماذا هذا الإستهتار في حضرة الملك السماوي؟ في القديم، ولغاية سنوات ليست بعيدة، كان للناس لباس خاص بيوم الأحد، لأنَّهم كانوا واعين معنى هذا اليوم الذي فيه يذهبون إلى الكنيسة للمشاركة في القدسات.

رجاؤنا أن تنعكس الحشمة الداخلية، حشمة القلب، على الخارج ولا تنحصر بالنيات فقط، بل تتحدى الداخل لتتجلّى في المظهر الخارجي، وعندها يُقال: من ثمارهم تعرفونهم.

كنيسة القديس نيقولاوس – نيويورك

أشرنا في عدد سابق إلى تهدم كنيسة القديس نيقولاوس (اليونانية) في نيويورك، بعدما سقط عليها برجا مركز التجارة العالمي. وفي خطوة لافتة تبرعت مدينة باري الإيطالية بمبلغ خمسمئة ألف دولار أميركي كمساهمة لبناء هيكل جديد للقديس نيقولاوس في نيويورك. يُذكر أن القديس نيقولاوس هو شفيع مدينة باري وفيها توجد رفاته منذ سنة ١٠٨٧ في كنيسةٍ على اسمه.

بابًا ومزلاجًا.

فلنطلب معونته تعالى لكي نتمم اجتهادنا بالعمل ولنحفظ فمنا جاعلين عقلنا مزلاجًا له لا ليكون موصدًا دائمًا بل ليفتح في الوقت الملائم. فقد يكون أحيانًا السكوت أفضل والكلام أفضل من السكوت. لذلك يقول الحكيم سليمان للسكوت وقت وللتكلّم وقت (جامعة ٣:٧).لو كان واجبًا أن يُفتح الفم دائمًا لما لزم له باب، ولو كان واجبًا أن يُغلق دائمًا لما لزمت له الحراسة. فالباب والحراسة ليعمل كل شيء في وقته. ويقول آخر اجعل لكلامك ميزانًا ومعيارًا (سيراخ ٢٨:٢٥) أي أن نلفظ كلامنا باحتراس وازنين إياه ومفكرين به.

يقول الحكيم: لا تمتنع عن الكلام في وقت الخلاص (سيراخ٤:٢٣). تكلّم ولكن نادرًا، متى دعتك الحاجة. يجب الاحتراس الشديد حتى يملك الإنسان لسانه ويستخدمه بلا خطر البتة. لذلك قال أيضًا: رب عتاب لا يحمل رب ساكت يعد حكيمًا (٢٠: ١و٥).

ولذلك يجب ألا نسكت، وأن نتكلّم في الوقت المناسب بنعمة عظيمة: ليكن كلامكم كل حين بنعمة، مصلحًا بملح لتعلموا كيف يجب أن تجاوبوا كل واحد (كو ٤:٦).

القديس يوحنا الذهبي الفم